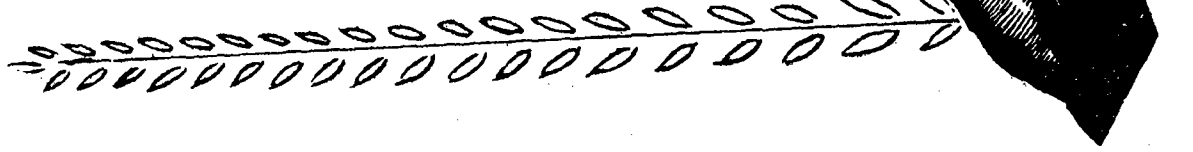


النتائج الجديدة



وبالنسبة للحقيقة الاولى : نجد ان الشاعر « سعد دعبيس » قد كتب سائر قصائد ديوانه « اغاني انسان » بالطريقة التقليدية من حيث الشكل ، ومع هذا فقد استطاع ان يتخلص - في الغالب اعم - من عيوب هذه الطريقة ، فالتفاد المحدثون يرمون القصيدة ذات الصياغة التقليدية بانها بيتية ، لارتباط بين اجزائها ، ولا وحدة عضوية تنتظمها من مبدئها حتى منتهاها ، كما ان الشاعر فيها يضطر الى كثير من الاضافات التي لا يحتملها المعنى بقصد استكمال عدد تفعيلات البيت ، وقد يعمد الى تغيير المعنى تماما حتى ينسجم مع كلمة معينة فرضها التزام الشاعر لقافية موحدة .

كل هذه العيوب لانجدها في قصائد هذا الديوان ، فكل قصيدة وحدة متكاملة ذات بناء متماسك يقوم على اساس من الوحدة العضوية للعمل الفني ؟ فلا افتعال ، ولا حشو ، ولا اضافات ، وانما قصائد متحدة العناصر اتحادا حيا ملتصقا ، وهكذا استطاع « سعد » ان يرضى التقليديين والمجددين على السواء ، يرضى الطائفة الاولى بسلامة قصائده من الناحية العروضية واللفوية ، وبجودة اساليبها ودقة سبكها ، ويرضى الطائفة الثانية بحيوية هذه القصائد وانطلاقها وعفويتها ، مع تحررها من القوالب المأثورة ، وبما فيها من روح جديدة .

والقارئ يلاحظ ذلك بجلاء في سائر قصائد الديوان ، وخاصة في « الليل والانسان » و « سطوح واعمال » ، و « غريب في مدينة الوتى » ، و « العيد في يافا » الخ .. ولنتناول الان بشيء من التفصيل قصيدة « الليل والانسان » ليرى القارئ مدى تماسكها والتحام اجزائها ، وكيف تتجلى وحدتها العضوية بوضوح :

هوذا الليل تائه كزمني ضائع في عوالم النسيان

لادعني مع المساء وحيدا اتلظى بحيرة الفنان

هكذا يستهل الاستاذ « دعبيس » قصيدته بهذين البيتين اللذين يعتبران مدخلا طبيعيا لتصوير محنة الفنان عند حلول المساء ، وكيف لا يكون حلول المساء محنة بالنسبة للشاعر وفيه تولد نفسه من جديد ، مع ما يعجب عملية الولادة هذه من الام نفسية ناتجة عن اجتياز مرحلة النهار بزيفها وخداعها والدخول الى عالم المساء ، حيث ينتفي النفاق والتضليل وتكشف الحياة عن وجه الحقائق البشع الذي كان مستترا تحت بريق خادع من زيف النهار وربابته .

اذن فالمساء بالنسبة للفنان محنة صحو وبعث لادميته ، وعلان عن ارادته ، ودعوة الى التحرر والانطلاق والتأمل :

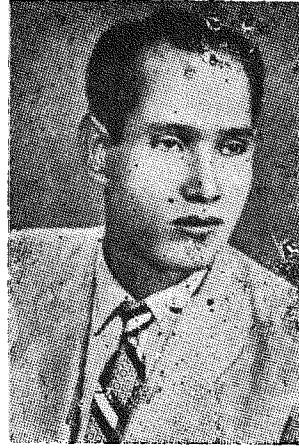
في المساء الفريب تولد نفسي وازيح الاكفان عن وجداني

واعاني بعشا عنيفا لروحي وشعورا ينساب ملء كياني

واحس الوجود في اعماقي يتمطي ، يشدني من مكاني

معلنا آدميتي في تحسد باعثا بي ارادة الانسنان

ويتنقل الشاعر بعد هذا التصوير الدقيق لمرحلة الولادة النفسية ، الى التعبير عن رحلته في قلب عالم المساء ، وهي رحلة رهيبه ، يتخللها



اغاني انسان

للشاعر سعد دعبيس

ان قارئ ديوان الاستاذ الشاعر « سعد دعبيس » يخرج من قراءته لهذا الديوان الجيد ، وهو اكثر اقتناعا بعدة حقائق فنية على جانب كبير من الاهمية .

الحقيقة الاولى : هي ان الشكل التقليدي لبنية القصيدة العربية ، من حيث التزام عدد ثابت من التفعيلات في كل بيت من ابياتها ، لا يقف بين الشاعر الاصيل والتعبير عن تجربته الفنية بشكل واضح متكامل ، لا تفكك فيه ولا افتعال .

والثانية هي ان الواقعية لانعني الاسفاف والابتدال ، والبعد عن القيم الجمالية الرفيعة خشية الارتفاع عن مستوى فهم القراء ، فلا شيء يمنع الشاعر الجاد من ان يكون واقعا ، ومحتفظا في الوقت نفسه بمستواه المرتفع كفنان يؤمن بقيمة الفن العالية .

والثالثة هي ان الافكار المجردة والتأملات لا تستطيع ان تنقل اليينا ما يريد الشاعر ان يحدثه في نفوسنا من تأثير ، بل لابد من تصوير التجربة بكل ابعادها وانطباعاتها . والتعبير بالقصة من اصح ما يعين الشاعر الفنان على نقل تجربته الى القارئ بشكل متكامل يحدث في نفسه الاثر الذي قصد الشاعر ان يحدثه فيها .

والرابعة هي ان الشعر انعكاس لشخصية الشاعر من الداخل ، فاذا كان الشاعر انسانا - بحق - فانك ستحس بشرة الصداق تشيع خلال اعماله ، وبالعاطفة الانسانية تتوهج من بين ابياته ، وستشعر بالتعاطف الحقيقي بين الشاعر وبين الموضوع الذي يتناوله ، اما اذا كان الشاعر لا يتعاطف وجدانيا مع موضوعاته ، وخاصة ما يتعلق منها بالقضايا الانسانية العامة التي لا يعالجها الا ليقول عنه الناس انه شاعر واقفي وانه يساير تطور المدارس الادبية الحديثة ، اقول ان مثل هذا الشاعر سرعان ما سيكتشف القارئ الواعي زيف اعماقه وخداعه وعملية التمويه التي يقوم بها نحو قارئه ، وهنا يسقط الشاعر وعمله معا .

إفلق والمذاب والشبي فوق النيران ، ويفلقها الصمت ، والرهبنة
والدهول والتهاويم ، ومع ذلك فهي رحلة حية مليئة بما يعث الروح
ويحررها من ربكة الجمود والموت .

وما أروع انتقال الشاعر بعد ذلك لكي يرسم لنا صورة دقيقة لتهاوي
الزيف والبهتان ، وتبدي الحياة على حقيقتها دون خداع ، او ربوش :
أه من يظفة المساء اذا ما بعثت بي مشاعر الانسان
وارتني من الحياة خفيًا وأطاحت بالزيف والبهتان
وتبدي العملاق قزما وذابت في هوى الكأس رهبة الرهبان
وتخلى عن الوقار دعسي وطوى الدين بأتع الاديان
وهكذا يستمر الشاعر في انطلاقه خلال رحلة البعث في المساء ،
مصورًا عذاباته النفسية المستمرة ، الى ان يقبل الصباح ، وتستفيق
« تفاهة الانسان » ، وعندئذ يصبح مجرد « قلب محط » ، لا يملك
من امر نفسه الا الاندفاع وسط اللطيف الادمي خلال رحلة النهار الرتيبة
التافهة ، يتصرف كما يتصرف الناس في بلاهة وغباء ، حتى اذا ما انتهى
النهار بجموده وموته في قبور العادة ، واقبل المساء حيث يعث الفنان
ويحيا من جديد :

همت في عالم جديد وهامت في فؤادي غرائب الالحان
وتعدت ما اشق عذابي حين اصحو من الجمود الفاني
وبالطبع لا استطيع الزعم بانني قد استطعت بهذه التجزيئات ان
اعطيك صورة دقيقة للوحدة العفوية لهذه القصيدة ، ولكنها مجرد
محاولة ، غير ان الاطلاع على القصيدة كاملة بالدوان ، هو الوحيد الذي
يمكن ان يعطي القاري مثل هذه الصورة الدقيقة .
وعلى القاري الان ان يعيد النظر مرة اخرى في هذه الابيات التي
اخترتها من القصيدة ليري ما اذا كان بها اية ضرورة شعرية ، او اضافات
لا يتطلبها المعنى ، او اي تفكك في بناء العبارة ، وان يدلني ان استطاع
على كلمة واحدة فرضتها القافية دون ان يتطلبها المعنى ، كما نجد ذلك
شائعا بكثرة ، في القصيدة التقليدية الصياغة .

وبالنسبة لثانية الحقائق التي اثارها في نفسي قراءتي لهذا
الدوان ، اعرض الجزء التالي من قصيدة « ثلاث اغنيات في الميناء » على
لسان البطل الشهيد « جواد حسني » :

عاد الظلام احبتي وطوى الدجى عرس الضياء
احبابنا عاد الظلام يلف اعماق السماء ؛
الليل يفترس المدينة والمحبة ، والصفاء
الليل يا احباب عاد مع المذابح والدماء
فبرغم ان الصورة التي يعرضها الشاعر هنا على لسان الشهيد
صورة واقعية لاقتحام قوات العدوان الثلاثي لبلادنا ، الا ان الشاعر
قد قدمها بشكل فني رائع لا اسفاه فيه ولا ابتدال تحت دعوى الواقعية
الزعموة .

وبنفس هذا الاسلوب ذي الطاقة الشعرية الكبيرة يصور لنا الاستاذ
« سعد دعيبس » اجترار الشهيد لذكرياته السابقة على ايام المعركة ،
اسمه يقول :

بالامس كنا ها هنا نسرى مع الموج الحنون
ونرى طيور البحر تسكب غنوة للعاشقين
مجدافنا وشراعتنا والحب والنأي الحزين
مازلت احيا هذه الذكرى ويسعدني الحنين
ثم انظر الى هذه الصورة الرائعة التي يختتم بها الشاعر قصيدته
على لسان شهيدنا البطل ، وانظر كيف يستطيع الشاعر الجاد ان يعبر
عن الموضوعات الواقعية مع الاحتفاظ بمقومات الشعر الاساسية من
اساليب شفاقة ، وعبارة رهيقة ، والفاظ منتقاة ، وموسيقى عذبة
جميلة :

اماه ان طلعت الصباح واشرق الفجر الجديد
فخذي ابي ورفاق ممركتي الى ارض الخلود
فعلى صفاء الموج في مينائنا الحلو السعيد
روحى هناك بموجة بيضاء كالفجر الوليد

روحى تغني للرفاق وللمدينة والوجود

ياغنة الاحرار يا مهد الصبا يا بور سعيد

وهكذا نرى ان الشاعر حريص مع تناوله للموضوعات الواقعية على
ان يكون شاعرا بحق ، فلا يعني في سبيل الموضوع اية مقومة من
مقومات الشعر الاساسية ، وهو بهذا لا يهبط بالشعر الى ارض الواقع
الصلبة - كما يفعل كثير من عدعي الواقعية - وانما يخلق بأرض الواقع
ويرفعها الى سماء الشعر ، وهذا هو الفارق الاساسي بين الشاعر عندما
يعبر عن واقعه ، وبين مصنف المهبية عندما يحاولون ان يكونوا شعراء .
وليرجع القاري - اذا اراد - الى قصائد مثل « اغنية للشمس
والسد العالي » ، و « من الحارة والى الحارة » ، و « الصعاليك » ،
و « ارادة » وغيرها ليتبين صدق ما نقول .

واذا انتقلنا الى الحقيقة الثالثة نجد ان الاستاذ « سعد » كان
موفقا في القصائد التي عبر عن موضوعها من خلال تصويره لتجربة حية
عن طريق العرض القصصي ، اكثر من توفيقه في القصائد التي عبر عن
موضوعها تميرا مباشرا ، فالخطابية - وهي من ابرز عيوب الشعر
التقليدي - تحسها في امثال هذه القصائد :

« اغنية للشمس والسد العالي » و « اله جديد في افريقيا ،
و « ارادة » و « من عصابة الماء ما الى العالم الحر » .

ولذلك فنحن لانجواب مع هذه القصائد وجدانيا ، ولا تمس نفوسنا
من الداخل ، وان كنا نمجب بما فيها من افكار ثورية ، وآراء صائبة ،
وموسيقى ظاهرة ، واساليب جميلة ، هي بالاختصار تبعث عقولنا على
التفكير بينما الاساسي في الشعر انه يثير في نفوسنا الاحساس
والتعاطف وجدانيا مع الموضوع ، وهذا مانشعر به في قصائد الدوان
الاخرى التي لم اذكرها في المجموعة السابقة وخاصة في القصائد
التالية :

- سطوح واعماق - و - يوميات جندي بريطاني - و - الصعاليك -
و - غريب في مدينة الموتى - و - ثلاث اغنيات في الميناء - و - موت
بقرة في القرية - و - العيد في يافا - و - فوانيس رمضان - .

فالشاعر يتمكن من خلال هذه القصائد ، وبفضل التصوير القصصي
الدقيق للموضوع من عرض التجربة عرضا حيا يثير في نفوسنا الانفعال
بموضوعاتها ، والتجاوب معها تجاوبا وجدانيا اساسه العاطفة والشعور .
والان لتتناول بالتحليل قصيدة « موت بقرة في القرية » : ان
الشاعر في هذه القصيدة يصور مأساة الفلاح في العهد الماضي ، وكان
يمكنه ان يتناول الموضوع تناولا مباشرا فيقول : ان الفلاح معدب ، وانه
مظلوم ، وانه لا يجد ما ياكله هو واولاده ، وان حيوانه هو كل شيء في
حياته ، وهو عنده اعز من اولاده و... و... الخ ، ولكنه ترك
هذا الاسلوب المباشر ، ولجا الى تصوير المأساة من خلال حادثة بسيطة ،
ربما عدتها الذين لم يعيشوا بالقرية شيئا تافها ، ولكننا نحن ابناء الريف
نشعر بفداحتها ، تلك الحادثة البسيطة هي موت بقرة احد الفلاحين ،
وهو لم يدخل الى الحادثة مباشرة ، وانما اثارها في نفسه احد اترساء
الحرب الذي اخذ يسب الفلاحين ، وان مقارنة منظر هذا الثري المتعرج
ذي الكرش المكتنز من كثرة ما اكل من حقوق الفلاحين ، بمنظر ابناء
القرية ذوي الاعواد العجفاء ، هي التي جعلت صاحبنا يسبح « مع
الليل الساجي » ، فيتذكر هذه الايام التي عاشتها أسرته في الريف ،
شقيت فيها وتعبت ، وعانت الكثير من نواحي بؤس الفلاح ، هذا البطل
الذي لا يعرف اليأس او الهزيمة مع كل هذه الماسي ، ثم يدخل السى
صلب الحادثة ، فيقول :

ايام ، ايام راحت في قلب الزمن الجبار
وطواها ليل مدينتنا وتوارت خلف الاستار
الا امسية ما زالت تعوي في قلبي كالنار
مازلت تصرخ ، تحملني للريف وتشعل اعصصاري

ويصور الشاعر بعد ذلك حادثة موت البقرة تصويرا رائعا مؤثرا ،
وما اروع تعبيره عن وقع المأساة على الفلاح ، وكيف هزت كيانه هزا
عنيفا :

واهتز مصباح الطريق ورفرف الماضي السحيق
ونظرت لي وأنا اهيم بليالي الأعمى وحيبند
مااروع القلب الشريد يمن للقلب الشريد
وانظر معي الى هذه الشغافية والرقة المتناهية ، واللمسات اللامحة
المحلقة في تصوير الشعور المتبادل بين الحبيبين :

ولست في يدك الحنونة قلب انسان رحيم
وانساب في نظراتنا الحيرى أسي طفل يتيم
وتماوجت اعماقنا في نحن فنان حزين
وهمست لي ورايت قلبك في ارتعاشات الجفون
وتعانقت اشواقنا وسرى بنا جسم حنون

واهتز مصباح الطريق وثار في قلبي الحنين
وهذه الروح الانسانية تحسها بعمق وقوة في قصيدته « سطوح
واعماق » التي تعبر عن مشكلة انسانية خالدة هي « الموت » من خلال
تجربة معاشة لاسرة بسيطة فقدت عائلها .

وبعد ، فلا يخلو الديوان مع كل هذه المزاي التي ذكرتها ، من
بعض الهنات ، التي لا تقلل من روعة الديوان وجودته بحال من ذلك الصياغة
التقريرية ذات الصيغة الخطابية في بعض القصائد الثورية ، وكذلك
بعض العبارات التي تخلو من الروح الشعرية مثل :

ومن يومها كوتت عقدة بأعماق نفسي للواعظين
وكذلك سداجة التعبير في مثل :

وفتاة تلطم خديها وتصبح : هلموا يا اهلي
وكذلك بعض العبارات ذات الصيغ « الكليشيهية » الجامدة في
مثل :

بدو للناس أبا صبر ويوارى آهات شقي
وللاستاذ « سعد » في ختام كلمتي تلك تهنتي الخالصة بديوانه
الجديد ، الذي اضاف الى حياتنا الادبية خصا وثناء .
عبد المنعم عواد يوسف
القاهرة

ويظل يحرق مشدوها
كم زار الموت له بيتا
ما عصف الحزن به يوما
واليوم امام الساقية
واحس بان هنا في هذا
ورنا للافق ، للاشيء

ويهم بدنيا الاحزان
وتخير احلى الصبيان
او ذاق جعيم الحرمان
صرخت نيران الاحزان
البئر مصير الانسان
وسرى في صمت حيران

ثم يختتم الشاعر هذا القصيد السيمفوني الرائع ، بهذا اللحن
الحزين الذي يترك في نفس القاريء الاثر الاخير الذي يود الشاعر ان
يتركه فيها ، يختتمه بنفس الابيات التي دخل منها الى قلب الماساة .
ولعلمني استطعت بهذا ان اوضح الفرق بين سطحية تناول عندما
يلجأ الشاعر الضحل الى تصوير الماساة عن طريق الافكار والتأملات
المجردة ، وبين عمق هذا التناول وتأثيره العنيف في نفس الانسان
عندما يلجأ الشاعر الفنان الى تصويرها من الداخل عن طريق التجربة
والحدث .

وبالنسبة للحقيقة الاخيرة ، نجد ان الشاعر كان منصفاً لنفسه ولغنه
عندما جعل عنوان ديوانه « اغاني انسان » ، فهي - بحق - اغاني انسان
بما فيها من صدق واخلص للموضوع الذي يتناوله الشاعر ، ولا شك
ان هذا التقبل الطبيعي منا لشعره ، وهذا التجاوب الذي يحسسه
القاريء مع اعماله لدليل على ان الشاعر انسان بالفعل وانه وفي لقارته
وللحقيقة ، فلا تزييف للواقع ، ولا تضليل للقاريء ، وهذه هي سمات
الشاعر الانسان ، ولا شك ان هذه البساطة التي يحسها القاريء في
شعر الأستاذ « سعد دغيبس » وبعده من التقيد والالتواء لدليل على
صفاء نفسه وانسائها ، وبالتالي صدقها واخلصها .

ولندخل معا الى محراب قصيدة « همسة مصباح » لنرى هذه
الروح الانسانية الصافية التي ترفرف على القصيدة من بدنها حتى
نهايتها ، اسمعه يصور لقاءه مع الحبيبة ، في ظل مصباح الطريق :
وتهاست اعماقنا في نظرة عبر الطريق

صدر حديثا :

أنا وسارت والحياة ...

بقلم الكاتبة الوجودية الشهيرة
سيمون دو بوفوار
ترجمة عائدة مطر جي ادريس

في هذا الكتاب الرائع تروي لنا الكاتبة الوجودية الكبيرة سيمون دوبوفوار قصتها مع الرجل الذي
كان شريك حياتها ، من غير ان يكون زوجها ، جان بول سارتر . وهي من خلال ذلك تقص تلك المفارقة
التي أدت الى انتصارها : كيف أصبحت كاتبة الى جانبه ، وكيف كانا وما يزالان يواجهان الحياة .
انها قصة عجيبة ، هذه التي تسردها هنا سيمون دوبوفوار لانها قصة عاطفة فذة قلما ربطت كائنين فوق
هذه الارض بمثل هذا الرباط : رباط الحب الواعي الذي يوثقه تفاهم روحي وفكري ليس له في
عمقه وصميميته مثيل . فبالرغم من ان سارتر يحبها ، كائنات اخرى ، من مثل « كميل » و« اولفا » فان
ما يشده الى سيمون دوبوفوار اعماق من ان تؤثر فيه اية علاقة خارجية وان ما يشدها اليه اوثق
من ان توهنه الفيرة . . صحيح انها تغار ، وتعبر عن ذلك في صفحات رائعة، ولكن السعادة التي خلقها لقاءها
بسارتر منذ اللحظة الاولى ستظل ترفرف على حياتها مادامت على قيد الحياة . وهي واثقة كل الثقة من انها
« لن يأتيها اية مصيبة من سارتر الا اذا مات قبلها . . » قصة رائعة ، عميقة ، مرهفة ، نابضة بالحياة . .

منشورات دار الاداب

الثلث ٤ ليرات لبنانية او ما يعادلها